وما بعده يشعر بالنهي عن علم الكلام حسب ما يقتضيه ظاهر لفظه الا تراه قال له كنت عازما على ان اعلمك القرآن
وتفسيره والفقه وهو المعرفة باحكام الشريعة ولا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم خفت ان تدخل عليك شبهة في
اصول الدين فيلتبس عليك في عقيدتك الاصلية ما التبس على غيرك من الناس فعدلت عن العزم الاول الى ان
اوصيك بوصايا تتعلق باصول الدين ومعنى قوله ع وكان احكام ذلك الى قوله لا امن عليك فيه الهلكة اي فكان احكام
الامور الاصولية عندك وتقرير الوصية التي اوصيك بها في ذهنك فيما يرجع الى النظر في العلوم الالهية وان كنت كارها
للخوض معك فيه وتنبيهك عليه احب الي من ان اتركك سدى مهملا تتلاعب بك الشبه وتعتورك الشكوك
في اصول دينك فربما افضى ذلك بك الى الهلكة فان قلت فلماذا كان كارها تنبيه ولده على ذلك وانتم تقولون ان
معرفة الله واجبة على المكلفين وليس يليق بامير المؤمنين ع ان يكره ما اوجبه الله تعالى قلت لعله علم اما من طريق
وصية رسول الله ص او من طريق معرفته بما يصلح ان يكون لطفا لولده ومعرفته بما يكون مفسدة له لكثرة التجربة
له وطول الممارسة لاخلاقه وطباعه ان الاصلح له ان لا يخوض في علم الكلام الخوض الكلي وان يقتنع بالمبادي والجمل
فمصالح البشر تختلف فرب انسان مصلحته في امر ذلك الامر لا بعينه مفسدة لغيره ونحن وان اوجبنا المعرفة فلم
يوجب منها الا الامور الجملية واما التفصيلات الدقيقة الغامضة فلا تجب الا عند ورود الشبهة فاذا لم تقع الشبهة
في نفس المكلف لم يجب عليه الخوض في التفصيلات قوله قد عمرت مع اولهم الى آخرهم العين مفتوحة والميم مكسورة
مخففة تقول عمر الرجل يعمر عمرا وعمرا على غير قياس لان قياس مصدره التحريك اي عاش زمانا طويلا واستعمل
في القسم احدهما فقط وهو المفتوح قوله حيث عناني من امورك اي اهمني قال عناني من صدودك ما عناني قوله واتبعت
عليه اي عزمت ومقبل الدهر يقال اقبل الغلام فهو مقبل بالفتح وهو من الشواذ ومثله احسن الرجل اذا تزوج فهو
محصن واذا عف فمحصن ويحصن ايضا وسبب قوله اذا اطال الحديث فهو مسهب والفج اذا افتقر فهو مفج وينبغي ان
يكون من قولك تنبيهك له بمعنى عليه او يكون على اصلها اي ما كرهت تنبيهك لاجله فان قلت الى الآن ما فسرت لما
ذكره تنبيهه على هذا الفن قلت بلى قد اشرت اليه وهو انه كره ان يعدل به عن تفسير القرآن وعلم الفقه الى الخوض
في الامور الاصولية فينبهه على امور يجره النظر وتأمل الادلة والشبهات اليها دقيقة يخاف على الانسان من الخوض
فيها ان تضطرب عقيدته الا انه لم يجد بدا من تنبيهه على اصول الديانة وان كان كارها لتعريضه لخطر
الشبهة فنبهه على امور جملية غير مفصلة وامره ان يلزم ذلك ولا يتجاوزه الى غيره وان يمسك عما يشتبه عليه
وسيأتي ذكر ذلك الاصل واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على
ما افترضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا
اذا نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما
لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط
الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك
وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك
فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك و
فراغ نظرك وفكرك واعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط او خلط
والامساك عن ذلك امثل الشرح امره ان يقتصر على القيام بالفرائض وان يأخذ بسنة سلفه الصالح من آبائه
واهل بيته فانهم يقتصروا على التقليد بل نظروا لانفسهم وتأملوا الادلة ثم رجعوا آخر الامر الى الاخذ بما عرفوا
والامساك عما لم يكلفوا فان قلت من سلفه هؤلاء الذين اشار اليهم قلت المهاجرون الاولون من بني هاشم
وبني المطلب كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وكابي طالب في قول الشيعة وكثير من اصحابنا وكعبد المطلب
في قول الشيعة خاصة فان قلت فهل يكون امير المؤمنين نفسه معدودا من جملة هؤلاء قلت لا فانه لم يكن

من اهل المبادي والجمل المقتصر بهم في تكليفهم العقليات على اوائل الادلة بل كان سيد اهل النظر كافة وامامهم
فان قلت ما معنى قوله لم يدعوا ان نظروا لانفسهم قلت لانهم اذا تأملوا الادلة وفكروا فيها فقد نظروا لانفسهم
كما ينظر الانسان لنفسه ليخلصها من مضرة عظيمة سبيلها ان تقع به ان لم ينظر في الخلاص منها وهذا هو الوجه
في وجوب النظر في طريق معرفة الله تعالى وهو الخوف من اهمال النظر فان قلت ما معنى قوله الى الاخذ بما عرفوا والامساك
عما لم يكلفوا قلت الاخذ بما عرفوا مثل ادلة حدوث الاجسام وتوحيد الباري وعدله والامساك عما لم يكلفوا مثل
النظر في اثبات الجزء الذي لا يتجزى او نفيه ومثل الكلام في الخلاء والملاء والكلام في ان هل بين كل حركتين
مستقيمتين سكونا ام لا وامثال ذلك مما لا يتوقف اصول التوحيد والعدل عليه فانه لا يلزم اصحاب الجمل و
المبادي ان يخوضوا في ذلك لانهم لم يكلفوا الخوض فيه وهو من وظيفة قوم آخرين قوله ع فان ابت نفسك
ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا هذا الموضع فيه نظر لانا قد قلنا انهم لم يعلموا التفاصيل الدقيقة
فكيف تجعلهم عالمين بها ويقول ان تعلم كما علموا وينبغي ان يقال ان الكاف وما علمت فيه في موضع نصب لانه صفة
مصدر محذوف وتقديره فان ابت نفسك ان تقبل ذلك علما كما علموا دون ان تعلم التفاصيل الدقيقة وجاز
انتصاب علما والعامل فيه تقبل لان القبول من جنس العلم لان القبول اعتقاد والعلم اعتقاد وليس لقائل ان يقول
فاذا يكون قد فصل بين الصفة والموصوف باجنبي لان الفصل بينهما قد جاء كثيرا قال الشاعر جزى الله كفا ملؤها
من سعادة سرت في هلاك المال والمال نائم ويجوز ان يقال كما علموا الآن بعد موتهم فانهم بعد الموت يكونون
عالمين بجميع ما يشتبه عليه على الناس في الحيوة الدنيا لان المعارف ضرورية بعد الموت والنفوس باقية على
قول كثير من المسلمين وغيرهم واعلم ان الذي يدعو الى التكلف هذه التأويلات ان ظاهر الكلام كونه يأمره
بتقليد النبي صلى الله عليه وآله والاخذ بما في القرآن وترك النظر العقلي هذا هو ظاهر الكلام الا تراه كيف
يقول له الاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه اهل بيتك وسلفك فانهم لما حاولوا النظر
رجعوا بآخره الى السمعيات وتركوا العقليات لانها افضت بهم الى ما لا يعرفونه ولا هو من تكليفهم ثم قال فان
كرهت التقليد المحض واحببت ان تسلك مسلكهم في النظر وان افضى بك الامر بآخره الى تركه والعود الى المعروف
من الشرعيات وما ورد به الكتاب والسنة فينبغي ان تنظر وانت مجتمع الهم خال من الشبهة ويكون طالبا
للحق غير قاصد الى الجدل والمراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضي هذه المعاني ولم يجز عندنا ان يأمر امير المؤمنين
ع ولده مع حكمته واهليته ولده بالتقليد وترك النظر دفعنا الى تأويل كلامه على وجه يخرج به عليه السلام من ان
يأمر بما لا يجوز لمثله ان يأمر به واعلم انه ع قد اوصاه اذا هم بالشروع في النظر بمحض ما ذكره المتكلمون وذلك
امور منها ان يرغب الى الله في توفيقه وتسديده ومنها ان يطلب المطلوب النظري بتفهم وتعلم لا بجدال ومغالبة
ومراء ومخاصمة ومنها اطراح العصبية لمذهب بعينه والتورط في الشبهات التي يحاول بها نصرة ذلك المذهب
ومنها ترك الالف والعادة ونصرة امر يطلب به الرياسة وهو المعني بالشوائب التي تولج في الضلال ومنها ان يكون
صافي القلب مجتمع الفكر غير مشغول السر بامر من جوع او شبق او غضب ولا يكون ذا هموم كثيرة وافكار موزعة
مقسمة بل يكون ذكره وهمه هما واحدا قال فاذا اجتمع لك كل ذلك فانظر وان لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت
كالناقة العشواء الخابطة لا تهتدي وكمن يتورط في الظلماء لا يعلم اين يضع قدمه وليس طالب الدين من كان
خابطا او خالطا والامساك عن ذلك امثل وافضل الاصل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو
مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر
الا ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك
فاحمله على جهالتك فان اول ما خلقت خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك
وتضل فيه بصرك ثم تنصره بعد ذلك الشرح قد تعلق بهذه اللفظة وهو قوله او ما شاء مما لا يعلم قوم من التناسخية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)